- ١٨ -

ان له لنغمة حلوة قريبة الى النفس ، يصبو اليها القلب فى تجاوب خفاق ، عذب هو ، لاتملك الاذن اذا سمعته الا أن تميل اليه فى حنين ، يملك على الانسان مشاعره جميعا فكأنما الدنيا لم تخلق الا ليسمع الانسان فيها الشعر . يقولون ان للخمر نشوة فما نشوتها اذا قيست بنغمة الشعر الجميل الجرس الحلو الارانين . فالقلب حين يصغى اليه وجيب ، والعين دمعة حائرة تنطلق عن سعادة غامرة وهناءة تتماوج فى النفس جميعها .

هكذا أحب حسين الشعر ، فحياته منذ أحبه شعر ، وليس غير الشعر ، يستعير الدواوين من مظانها جميعا ، ويحفظ العروض فيجيد حفظه ، ويحفظ المنظومات الازهرية جميعا فى سهولة ويسر ويحب شواهد النحو التى يضيق بها اخوانه من الازهريين ، شعر ، أصبحت آفاق حياته كلها شعرا ، ولكن آماله فى أن يصبح شيخا للوعظ لم تبرح نفسه ، فهذا أمل راسخ فى بعيد نفسه ليس له عنه حول ولا منصرف ... آمال الصبا الباكر والطفولة الحالمة ، الجبة والقفطان والعمامة والنساء والرجال وهنية ، وخاصة هنية ، يقبلون يده ومن يدرى فقد يأتى يوم يقبلون فيه طرف الجبة .. الخضراء ، أو غير الخضراء .. وان كان لابأس بالخضراء وأقول شعرا . شعرا فى الصوفية .. فى حب الله .. فانه لايجوز لشيخ مثلى ا يقول فى غير حب الله .. ولكنه شعر جميل ، يستثير مكامن الدموع ويداعب خوا الاشجان ويجعل النفس تثوب الى الايمان من حب الله والتفانى فى ذاته العليا سبحانه ، وكانت يد الشيخ أثيمنى تداعب قطته وهو مستلق على السرير تار لآماله الحرية ان تفعل به ماتشاء .. وانتبه الشيخ الى نفسه والى يده تداعب فر القطة الناعم ويده الاخرى تمسح دمعة عن عينه ، وحيد .. وحيد .. ليس الا القطة ، الم تصدف عن صاحبة البيت . لكم عرضت عليك أن تنظف لك الحج أو تغسل لك الملابس ولكنك ابيت فى اصرار . بل انك حتى رددت الطعام الذ ارسلته اليك مع الخادمة الصغيرة .. استغفر الله العظيم .. استغفر الله العظيم ولكنى وحيد .. اتصلح هذه الكلمة بداية قصيدة .. أو تكون مثل هذه القصـ

صالحة للتصوف ·· لاباس أن أقول فى الحب العفيف أو فى المشاعر الانسانية البعيدة عن الدنس والعياذ بالله ·· فالوحدة موضوع لاباس به ·· اتراك لو كتبت القصيدة تمتدح الوحدة أم تراك تقول ما تجده فيها من بؤس وضياع ·· ما هى الا سنوات قليلة ·· نعم ·· نعم ·· تصبر نفسك ، انما هى سنوات قلائل وتصبح وحدتك شملا مجتمعا ·· انت وهنية ·· نعم انك تريدها زوجة ·· هنية ·· تلك البنت ·· الفتاة التى تريدها ان تقبل يدك أو طرف جبتك ·· نعم فانه لارهبانية فى الاسلام ·· اريد ان احترف الوعظ واتزوج وانجب البنين والبنات ·· وأعوض نفسى عن الوحدة الطويلة التى عانيتها ·· طويلة ·· طويلة هى الوحدة ·· القطة·· الوقت المتثائب ·· رائحة الركود ·· الزمن المتجمد ·· الضياع فى طوفان الفراغ دوامة انصمت ·· لاأحس الا تسبيح القطة ، لارائحة الا انفاسها كأنها أنفاس الملل والضيق والضياع ، لاعمل الا الانتظار لمجهول وذكريات من الماضى اضيق بها من كثرة ما تذكرتها وآمال فى المستقبل اكاد ازهدها لهذا الزمن الطويل الذى يفصل بينى وبينها ·· مروعة هذه الوحدة ·· لا ·· لاشىء يصفها الا نفسها ·· الوحدة ·· الانسلاخ عن البشرية المتماوجة حولك ·· البعد عن دوامة الحياة ، العزلة كأنك عمل سىء ·· القطة وأنا · وفجأة وجد القطة تضطرب تحت يده وتقفز فتهوى يده الى السرير ويجتذب نظره عن الحائط الذى اطال اليه النظر يريد أن ينظر الى مكان القطة فيجد جسم انسان ·· امرأة ·· انها مفيدة زوجة صاحب البيت وينظر الى الباب فيجده قد اقفل والى القطة فيجدها مقبعة عند الباب تنظر اليه وكأنما تنتظر ما هو فاعل ويعود الى المرأة ثم يثوب الى نفسه ثم ينتفض من مكانه يريد ان يقوم وهو يقول « أهلا » ذاهله دهشة خائفة وقبل أن يقوم تدفعه يد المرأة فى جرأة ·

ـ نم ·

ويرتمى مكانه ·

ـ لماذا ؟

ـ الام تظل خائبا ؟ ·

ـ نعم ·

ـ يارجل اصح من نومك ·· أصبحت رجلا ·

ـ نعم ·

واطبقت بشفتيها على شفتيه ، والتهبت حواسه وحين اخلت سبيل فمه وجدته ووجد نفسه يقول :

ـ حرام ·

فاطبقت على شفتيه مرة أخرى وحين تركته قال مرة أخرى :

ـ حرام ·

ونامت المرأة الى جانبه وهو لايتوقف عن القول :

ـ حرام ·· حرام ·· حرام ·

اقام صلاة الفجر حاضرة ثم تناول افطاره وراح يذاكر بعض الحين ثم لبس

ملابسه ومديده ليتناول العمامة فأحس يده كأنها تريد أن ترتد عن العمامة دون أن تأخذها حتى اذا استجمع قواه اختطف العمامة الى رأسه فأحس كأنها اطواق من حديد تضغط على رأسه حتى لتكاد رأسه ان تنفجر · ليست هذه هى العمامة التى يعهدها ، لا ولا هى التى يتيه بها عجبا ، ماذا دهى العمامة · ماذا الم بها ·

خلع ملابسه وعاد الى الحمام مرة أخرى وراح يسكب مزيدا من الماء على جسمه، وانهمر الماء وانهمر حتى اذا خيل الى حسين انه يستطيع ان يلبس عمامته دون أن يضيق بها أو تضيق هى على رأسه خرج من تحت الماء وعاد الى غرفته · وقبل أن يجفف الماء عن جسمه انفرج الباب عن مفيدة ·

ولم يلبس حسين العمامة ، لا ، ولا ذهب الى الازهر فى يومه هذا ·

لم تعد علوم الازهر تعنيه ، انما كان يهتم بالشعر فيها فقط وهو منذ عرف مفيدة اشتد انصرافا عن العلوم الدينية · وكان يحس انه غير متلائم مع ملابسه ولا مع المستقبل الذى يعد نفسه له · حتى لقد اخذ يتجه بآماله الى افاق أخرى غير الافق الذى كان قد رصد له حياته ·

ولكنه مع ذلك مضطر ان يظل على عهده من لبس الجبة والقفطان والعمامة وان كان فى داخل نفسه يخلع العمامة والجبة والقفطان · لم يعد يعنيه ان يقول شعرا فى الصوفية وانما اصبح يعنيه أن يقول شعرا · أى شعر ·· فهو يقرأ ·· ويقرأ · وطاب له العيش مع مفيدة ومع آماله العريضة أن يصبح شاعرا · ولكن هاجسا مايلبث أن يهجس فى نفسه ·· ماذا يفعل به الحاج والى ان هو اتجه الى الشعر ولم يتجه الى ما أراده لنفسه من تعليم دينى ·· وماذا يمكن أن يفعل الحاج والى ·· بل ماذا يمكن أن أفعل أنا اذا غضب على الحاج والى ·· ضائع انا شريد ·· ايلمس الرزق من غير أبى ·· بل من رجل لاتربطنى به صلة الا الفضل منه والفقر منى ورغبته أن يفتخر أمام الناس انه يغدق على عطفه ورغبتى أنا فى ان اتعلم وان بذلت فى سبيل ذلك كرامتى وماء وجهى ·

وليس لى اليوم محيد عن التعليم ، والا فأين اولى وجهى من العالم ·· لات حين ·· لابد ان اكمل تعليمى حتى اجد ما اقتات به وليفعل بى الحاج والى بعد ذلك ما يشاء ، انما بينى وبينه ان انال شهادة ·· أى شهادة ·· لا حاجة بى أن تكون الشهادة العالمية ·· فماذا يمكن أن تكون ان لم تكن العالمية ·· وتدخل مفيدة وينقطع حسين عن التفكير ·

- ١٩ -

فرغ الحاج والى من صلاة العصر ، وتربع على السجادة وراح يتمتم على مسبحته ، وكان ابنه محمد جالسا امامه ، وراح الحاج ينظر الى ابنه بينما كان محمد مشغولا بالمذاكرة · واحس محمد نظرات ابيه فالتفت اليه ، والتقت ابتسامتان لامعنى لهما · وأطال الأب النظر الى ابنه ، وظل الابن رانيا الى ابيه حتى انتبه اخيرا الحاج والى ونكس رأسه الى السجادة ·· ايحرمنى حتى من متعة النظر اليه ، ماضر لو تظاهر بأنه غير منتبه الى واتاح لى فرصة اطول من النظر اليه ·· راحة وهدوء يشيعان فى نفسى اذا نظرت اليه لا أدرى لهما سببا ·

وعاد محمد الى المذاكرة انه فى طريقه الآن الى البكالوريا يتحسس طريقه الى الشباب فى خطى متعثرة يحدوها شوق عارم لمجهول من الحياة ٠

وعاد الاب ينظر الى ابنه وفكر وما كان بحاجة الى التفكير ٠٠ كان قد أعد له المستقبل جميعا لم يغفل منه شيئا ٠٠ لا ، هو لايريد أن يشق ضـــمير الغيب عن مستقبل ولده فهو يعلم هذا المستقبل ويعده فى اناة وثقة واطمئنان ٠

وقد ترك الابن لابيه زمام مستقبله يخط فيه ماشـــاء أن يخط ليس له من اعتراض عليه بل انه حتى لا يفكر أن يكون ذا رأى فى مستقبله ٠

ـ كبرت يا محمد ٠

ـ اطال الله عمرك يا ابا ٠٠ البركة فيك ٠

ـ اذا نجحت هذا العام ٠

ـ سأنجح يا ابا ٠

ـ ستذهب الى مصر ٠

ـ ان شاء الله ٠

ـ لقد اتفقنا على الكلية ٠

ـ الطب ٠

ـ ولكن هناك أشياء لم نتفق عليها ٠

ـ انا تحت أمرك

ـ امتحانك بعد اسبوع ٠

ـ نعم ٠

ـ عندما تنتهى من الامتحان نتكلم ٠٠٠

وقام الحاج والى عن السجادة ودلف الى حجرة نومه فوجد الحاجة بمبـــه مستلقية على الفراش غير نائمة ٠

ـ هل أنت نائمة ياحاجة ؟

ـ لا أبدا ٠

وجلس الحاج والى على الاريكة وثنى رجلا الى جسمه وأخرى الى الهواء وقال :

ـ آن لك أن تفرحى بمحمد ٠

ـ ماذا ؟

ـ ابنك ياحاجة بمبه ، وهل له أم غيرك ؟ ٠

ـ وكيف افرح به ؟

ـ اريد أن ازوجه قبل أن يذهب الى مصر ٠

ـ تزوجه وهو تلميذ !

ـ تلميذ فى الطب ٠٠٠

ـ أليس صغيرا ؟

ـ سيكون وحده فى القاهرة ٠

ـ بل سيكون اخوه معه ٠

وصمت الشيخ قليلا ثم قال :

ـ تقصدين حسين ؟

obeikandl.com

ـ أليس اخاه ؟ ٠
ـ حسين مشغول ياحاجة ٠
ـ مشغول ؟!
ـ مشغول ياحاجة ٠
وصمت وانتظرت الحاجة ان يتكلم ٠٠ واحس الضباب يتصاعد أمام عينيه وقال :
ـ عرف انى مريض فلم يهتم حتى أن يرسل خطابا وعرف انك مريضة ولم يسأل ٠ وأنا أزوره لا انقطع عن زيارته كلما ذهبت الى القاهرة ٠
ـ كيف عرف ؟
ـ من حمدى ٠
وصمت ثم عاد يقول :
ـ لقد رفض حتى أن يأتى فى الاجازة ٠ ومع ذلك ٠٠ ايه ٠٠ انما الأعمال بالنيات ٠
ـ انه ابنك ياحاج ٠
ـ لا ياحاجة ٠٠ لقد أردت أن يكون ابنى ولكنه هو لايريد ٠٠ النهاية ٠٠ النهاية ٠
ـ هل قطعت عنه ماترسله اليه كل شهر ؟
ـ وهل تعتقدين اننى افعل مثل هذا ياحاجة ؟
ـ لا ٠
ـ المهم ٠٠ أريد أن أزوج محمد ٠٠ ستكون له زوجة تعصمه من الزلل وتخدمه فيتفرغ هو للمذاكرة ٠
ـ أتريدنى أن اختار العروس ؟ ٠
ـ لقد اخترتها ٠٠ هنيه بنت عبد الحميد الهراس ٠
ـ كبيرة ياحاجة ٠
ـ وما البأس ٠٠ حتى تعرف كيف تعامله ، وأبوها رجل طيب ٠
ـ أمرك ياحاج ٠٠ أأكلم أمها ؟
ـ على بركة الله ٠
وكان محمد مايزال يذاكر فى البهو لايفكر الا فيما يقرأه ٠

ـ ٢٠ ـ

انتهى اليوم الدراسى فى مدرسة البنات ٠ وزاط الفصل بأحاديث كثيرة واحتبست مدة خمس واربعين دقيقة وانفجرت تريد أن تخرج جميعها طفرة واحدة فهى اخلاط من الكلمات ومزق من الجمل ٠ وفى وسط الفصل وقفت فتاتان فى بواكير الانوثة الصاخبة ، فأما احداهما فتلقى على ظهرها سبيكة من شعر أصفر صقيل ينتظم من الخلف ولكنك ان نظرت اليه من أمام وجدته ثائرا فى عربدة حبيبة كموج البحر ان كان البحر من ذهب يموج حتى ينتهى الى هذه الضفيرة ٠ فكأنه بحر يصب فى نهر ، وقد انسدلت منه خصلات على جبهة الفتاة فتذكر ساحل البحر الذى

لاتدرى انه كان مخضلا بالماء او هو جاف . خصلات كخيال من الوهم لا تدرى أهى منسدلة أم هى تجرى فى تيار الشعر الآخر متجهة الى السبيكة . ترى الخصلة حينا فان انعمت النظر لاتراها ثم تعود فتراها وهكذا استطاعت هذه الخصلة ان تجعل وجه آمال متجددآ دائما لا تمل العين النظر اليه .

وهو مشرق كالصباح الوليد ، ذو عينين فيهما جرأة وفيهما شباب وفيهما خضرة حلوة يمازجها لون بنى حتى لاتكاد تدرى ماهو لونها الحقيقى فأما انفها فأفطس بعض الشىء يتبعه فم واسع فيه على سعته حزم واقدام وهى ذات قوام حلو وان كانت تميل الى النحافة ، أوضح ما فى قوامها ثديان يشرئبان فى عربدة طاغية وفى أنوثة باكرة .

واما الفتاة الأخرى فهى نحيفة أيضا ، وهى أيضا ذات أثداء عربيدة لها رقبة طويلة بعض الشىء لكنها لاتغض من جمالها ولها وجه اسمر يميل الى الطول وعينان حالمتان تبدوان ضيقتين فان أنعمت فيهما النظر أحسست ان صاحبتهما هى التى تضيق منهما كانها تحفق النظر فى شىء تحبه ... فنظرتها دائما كانما تقول لمن تلقى اليه لكم أحبك ، وهى ذات شعر اسود غير ثائر ولا هادىء أيضا وانما هو شعر قوى صقيل متكاثر تمسك بأطرافه ضفيرتان يأخذان سبيلهما على ظهر ناهد فى غيظ ان تقيدهما الشرائط وان كانت من حرير .

واتمت امال وناهد تجميع الكتب فى حقيبتهما وخرجتا لاتلتفت واحدة منهما الى التلميذات الأخريات ، فقد كانتا تحسان عند انتهاء اليوم الدراسى انهما ردتا الى العالم الخليق بهما بعيدا عن الدراسة والتلميذات والمدرسات وكان هذا الشعور ينبت فى صدر كل منهما دون اتفاق بينهما عليه ، أو على الاقل دون أن يتفقا عليه بلغة الكلام ، وراحتا يجتازان الردهة الطويلة التى تفصل حجرة الدراسة عن الفناء ولم تأبه ناهد حتى أن تنظر الى الفتاة التى اصطدمت بها فأوقعت منها حقيبتها . وانما مالت فى كبر فالتقطت الحقيبة بينما كانت امال قد سبقتها بخطوتين ، ولم تتعمد ناهد أن تسرع من خطاها ولا اهتمت آمال ان تتمهل ولكن سرعان ماسارتا جنبا الى جنب مرة أخرى ، ومرت امامهما مدرسة فوقفت الخادم الجالسة فى الردهة وفى عظمة رفعت لها آمال يدها وكانها ترد تحيتها . وكانت شلة من الفتيات تسير أمامهما وجرت قطة من خلف آمال وناهد ودلفت من بين رجلى ناهد وقفزت الى ارجل الفتيات ونظرت ناهد الى أسفل ثم أرادت أن تواصل سيرها بينما راحت الفتيات تصرخن بين خائفة ومتظاهرة بالخوف وفى اهمال حالم عبرت ناهد وآمال ثلة الفتيات وواصلتا سيرهما الى السلم وراحتا تنزلانه درجة درجة وأخيرا التفتت امال الى ناهد :

ـ اتظنين أنهم يأتون اليوم ؟

ـ طبعا .

ـ وهل ؟ ...

ـ سنرى .

واصلتا سيرهما حتى خرجتا من الباب دون ان تنظر واحدة منهما الى البواب العجوز الذى حياهما فى ابتسامة ساذجة وسارت الفتاتان فى الطريق حتى اذا بلغتا

شارعا جانبيا انحرفتا اليه ولم يطل بهما المسير حتى انحرفتا مرة أخرى الى طريق آخر وقالت امال وكأنها فوجئت :

ـ جاءوا ·

وقالت ناهد فى عظمة مطمئنة :

ـ طبعا ·

ـ وماذا سنعمل ؟

ـ سنرى ·

وسارتا وعبرتا السيارة المكشوفة التى كانت واقفة على جانب الطريق وبها شابان · فاما السيارة فأنيقة غاية الاناقة ذات خراطيم كبيرة من المعـــدن تخرج من مقدمتها وتتجه الى أسفل فتكسبها عظمة وتفردا ، وقد كانت مقدمة السيارة طـويلة والخراطيم كثيرة واما الشابان فقد كان احدهما اسمر اللون نحيفا والآخر يميل الى البياض قدر ميله الى السمن وكان هو الذى يمسك بمفرده الســـيارة · وقد دأب الشابان أن ينتظرا آمال وناهد منذ ثلاثة أيام فى هذا الموعد · كما دأبا أن يســـير خلفهما بالسيارة حتى تلتفت اليهما ناهد لتقول فى صوت هامس مثير :

ـ بيتنا هنا ٠

فيعود الشبان ادراجهما لينتظرا فى اليوم التالى ويسيرا ويسمعا النغمة الهامسة المثيرة ويعودا ٠

وسارت السيارة خلف آمال وناهد ولكن الشاب السمين سبق الفتاتين وأوقف السيارة ونزل منها واعترض الطريق وهمست آمال لناهد :

ـ ماذا سنفعل ؟

ولم تجب ناهد وانما واصلت سيرها وأرادت أن تعبر الشاب وأرادت آمال أن تفعل مثلها ولكن الفتى مد ذراعيه ونظرت اليه ناهد نظرتها الساجيه وقد أضافت اليها بعض عتاب وقالت فى همستها المثيرة :

ـ الناس ٠

ـ وقال الشاب :

ـ نحن وحدنا ٠

وقالت ناهد :

ـ ماذا تريد ؟

ـ ماذا تريدين أنت ؟

ـ أروح ٠

ـ أما يكفى هذا ؟

ـ ما هو ؟

ـ كفى ٠

ـ ماذا ؟

ـ اتمانعين فى فسحة صغيرة بهذه السيارة ؟٠

ـ وماذا نقول فى البيت ؟

ـ تقولين كان عليكما واجب فى المدرسة ٠

والتفتت ناهد الى آمال ٠

ـ ما رأيك يا آمال ؟

وقاطعهما الشاب :

ـ تعيش الأسماء وحضرتك ؟

ـ ناهد ٠٠٠ هيه يا آمال ؟

ـ كما تشائين ٠

ـ وقال الشاب هيا ٠٠ هيا ٠

وحين بلغا السيارة نزل الشاب النحيف وهو يقول :

ـ أخيرا ٠٠ أهلا وسهلا ٠

ودلف الى المقعد الخلفى وامسك بيد آمال فركبت الى جانبه وجلست ناهد الى جانب صاحب السيارة واندفعت السيارة الى الطريق ٠

ـ ٢١ ـ

استطاع حسين أن يكتب شعرا ، ووافته الشجاعة فراح يرسل شعره الى

المجلات فيقطع شعره طريقا واحدا ماله من عودة ويصبح آخر عهده به اليوم الذى يطويه فيه ويغلفه ٠

ولم يجد من يسمع شعره الا حمدى صديقه الوفى وترب ملعبه وأخو دراسته وكان حمدى على صلات بطلاب آخرين فى الازهر سرعان ما اتصلت أسبابهم بحسين ولكنه كان يخجل أن يلقى عليهم شعره حتى شجعه حمدى فى يوم وراح يلح عليه أمامهم ان يلقى عليهم قصيدة « الطريق الجديد » والقى حسين القصيدة ٠

كانت القصيدة تروى عن الحياة التى خاض حسين غمارها على يد مفيده وان كان لم يذكر فيها الا الهوى العفيف والحب الخالص ٠

وقال أحدهم :

ـ الله الله ياسى الشيخ ٠

وقال آخر :

ـ انها آمال ياسى الشيخ مجرد آمال ٠

وألح حمدى مرة أخرى أن يسمعهم قصيدته « الأمل الضائع » وهى تلك التى نظمها يوم علم بزواج أخيه من هنيه ، ذلك اليوم البغيض الذى أرسل اليه فيه الحاج والى خطابا يدعوه أن يذهب الى القرية ليحضر الكتاب فلم يذهب ومكث يومين فى حجرته لايبرحها لاعمل له الا نظم هذه القصيدة واستقبال مفيدة كلما عن لها ان تزوره ٠

والقى حسين القصيدة وكان ذهنه مشغولا أثناء القائها بالتحسر على آماله٠٠ آمال الانسان وآمال الشاعر فيه ٠٠ أتضاءلت الآمال حتى لم تصبح الا هذه القصيدة ٠٠ أتراها تضاءلت فأصبحت قصيدة ام تعاظمت فأصبحت قصيدة ٠٠ ايهما اعظم ؟ الآمال المنهارة أم القصيدة الرائعة ٠٠٠ أهى رائعة ؟! لقد قلت شيئا على كل حال ، وانى احس مافيها من الم ، ان لم أقل شعرا وانا أرى أخى ينتهب آمالى فأنا لن اقول من بعد شعرا أبدا ٠٠ أكان يعرف ما بنفسى ٠٠ ألم اكن أخفى حبى لايدريه أحد ، وماذا يهم ان كان يعرف أو لايعرف ، لقد حطم امامى هذا كل شىء ، ولا يهمنى ان كان يعلم أو كان لايعلم ، النتيجة واحدة ٠٠ وكان يلقى القصيدة والدمعة تنحدر من عينيه على خده وهو مشغول ان يزيلها ، بل لعله ارادها أن تنسكب فى هذه المرة فلعلها تستطيع أن تكسبه شكل شاعر ان كان لم يستطع أن يقول شعر شاعر ٠

وكانت القصيدة صادقة ، وكان شكل حسين دمعته والأفكار التى تمور برأسه وهو يلقى القصيدة ، كل هذا جعل الجو المحيط به يستجلب اعجاب اصدقائه حتى لقد صفق بعضهم حين انتهى منها ، وقال الشيخ فهمى عبد القادر :

ـ لابد أن تنشر هذه القصيدة ٠

وانتفض حسين من أحلامه ومسح دمعته وقال :

ـ تنشر ٠٠٠ وكيف تنشر ؟

ـ اننى أعمل مصححا فى جريدة « الورود » واستطيع ان اقدم هذه القصيدة لرئيس التحرير ٠

ـ صحيح ؟

ـ أى والله ٠
ـ فأنت تعرف رئيس التحرير ٠
ـ نعم ٠
ـ أتستطيع أن تنشر هذه القصيدة ٠٠ اننى لا أريد أجرا على نشرها ٠
وقاطعه الشيخ فهمى عاجبا :
ـ أجرا ٠٠ انك ستعشينا على حسابك يوم تنشر القصـــــيدة ٠٠ يظهر انك لاتقدر معنى نشرك قصيدة فى مجلة « الورود » ٠ معناها انك ستصبح احد شعرائها مثلك مثل محمود ادهم وامين كامل وقال حسين فى لهفة :
ـ محمود ادهم ٠٠ اتعرفه ؟
ـ اراه كل يوم ٠
ـ ما اسعدك ٠٠ انا معجب بشعره الغنائى كل الاعجاب ٠
ـ غدا تعرفه ٠
ـ ياليت ٠
وقال حمدى :
ـ متى سنتشر القصيدة ياشيخ فهمى ؟
وقال الشيخ فهمى فى شعور عميق بالأهمية :
ـ كل آت قريب يا شيخ حمدى ٠٠ كل آت قريب ٠

هنيه فتاة بيضاء ناصعة البياض ذات شـــعر لاهو بالاسود الداكن ولا هو بالاصفر الفاقع وانما هو بين بين تطلقه بعد ان تزوجت دون أن تلم ثائره بمنديل أو ضفيرة وهى ليست طويلة بل لعلها الى القصر أقرب ، سمينة بعض الشيء وان كانت الآن سمينة غاية السمن،ذات عينين واسعتين وفم أوضح مافيه شفتان غليظتان،تلقت تعليمها فى الكتاب فتعلمت الجهل من اوثق مصادره • فرحت يوم زواجها بمحمـــد غاية الفرح ، فقد كان الزواج فى ذاته هو الامل المنشود الذى تهفو اليه احلامها اذا أمست وافكارها اذا اصبحت ، ولو كانت تدرى كيف خطبها محمد ، أو كيف خطبت لمحمد لترددت كثيرا قبل ان تفرح • وانما قبل لهـــا عريس ، وابن الحاج والى ، والقاهرة ، وتصبح ستا فى بيتها ففرحت وهى تقيم الآن فى بيت بالسيدة زينب هى ومحمد ، ومحمد مشغول عنها فى البيت بالمذاكرة وخارج البيت بأشياء كثيرة ، وهى تستجدى الصداقات من الجارات ، وتلتئم بينهن الصلات • ويذهب محمد الى بيـوت اصدقائه فيجد غير مايجد فى بيته ، فالبيوت هناك نظيفة مرتبة ، وبيته قذر مهوش• فيزداد ضيقا بزوجته ويكتم خبر زواجه عن زملائه فاذا الحوا عليه ان يزوروه يتنصل من الدعوة بشتى المعـــاذير • فعنوانه كزواجه سر من الاسرار لايبيحـــه لاحد حتى ولا لصديقه الأوفى مجدى عبد العزيز • وكان من الطبيعى ان يعتبره الاصدقاء عزبا غير متزوج فيشركوه فيما يشترك غير المتزوجين فيشترك تدفعه الى ذلك الرغبـات المكبوتة فى المغامره والمبالغة فى اخفاء امر زواجه وهكذا صحبه مجـــدى الى عزيزه فذهب اليها مترددا أول الأمر ثم أصبح يذهب اليها وحده • ويزداد محمد ضـيقا بزوجته ولكن هذا الضيق لم يمنع هذه المناقشة أن تدور بينهمـــا بعـــد عام من زواجهما :

ـ لابد أن أذهب الى البلد لالد هناك •
وكان محمد يعتبر نفسه طبيبا منذ التحق بكلية الطب •
ـ لا يمكن ، كيف أكون طبيبا وتلدين فى البلد ؟
ـ وانا لايمكن أن أضع بعيدا عن أمى •
ـ نرسل الى أمك تأتى الى هنا وتلدين فى المستشفى •
ـ لقد تذرت أن أجعل الحاجة زينب أم عوضين هى التى تولدنى •
ـ الحاجة زينب •• هذه المرأة العجوز الراعشة اليدين ؟
ـ مالها •• أليست هى التى جاءت بك الى الحياة ؟
ـ بل انها هى التى أودت بأمى الى الآخرة •
ـ لن يولدنى غيرها •
ـ بل سيولدك الطبيب •
ـ لن يكون هذا •
ـ لن يكون الا هذا •
ـ سترين •

وكان محمد يواجه امتحانه ولكنه لم يجد بدا ان يسافر بامرأته الى البلد ويعود فى اليوم ذاته •

وحين انتهى محمد من الامتحان سافر فوجد امرأته قد وضعت له ولدا ووجد أباه قد اسماه أحمد وحين يبدأ العام الدراسى الجديد يرجو محمد أباه أن يبقى زوجته

وابنه عنده حتى يستطيع ان يفرغ هو للمذاكرة لان الطفل سيجعل الامر عسيرا عليه ، ويحس أبوه فى وخز الحديث أنه تعجل فى أمر زواجه ويعود الضباب يتصاعد أمام عينيه ويرحب بكنته وحفيده ان يقيما ماحلا لابنه أن يقيما .

ولا تشعر هنية من ذلك حرجا بل انها تحس نفسها أقرب الى الحياة التى تحبها ، فقد ضاقت بالقاهرة هذه الفترة التى اقامتها فيها ، وكل هذا لم يمنع احساسا واهنا فى نفسها يلح عليها ان محمد يريد ان يبتعد عنها ولا تأبه كثيرا بهذا الاحساس فقد جاء أحمد ولا مفر لمحمد من احمد ومن أم أحمد .

- ٢٣ -

كان حسين جالسا فى حجرته حين جاءت مفيدة واغلقت الباب من خلفها وبعد حين قالت :

ـ ألم أعد أنا الوحيدة ؟

ـ لا أفهم .

ـ تعرف غيرى .

ومسح حسين الدمعة المنحدرة عن عينه وقال .

ـ أنا ؟! من قال هذا ؟!

ـ مثلى لايفوتها هذا .

ـ أبدا والله .

ـ لا تحلف انك شيخ محترم ، لاتحلف .

ـ أحلف صادقا .

ـ والله ان حلفت على المصحف ما صدقتك .

ـ ياشيخه اعقلى .

ـ اعقل انت ياشيخ .. تريد أن تلف على أنا وقد كنت قطة مغمضة ، وفتحت أنا لك عينيك .

ـ على فكرة .. اين القطة ؟

ـ القطة .. وهل تسأل عليها .. انها هى الاخرى احست انك لم تعد تهتم بها فتركتك الى غيرك .

ـ من غيرى ؟

ـ لا شأن لك .

ـ وهل هى وحدها التى تركتنى الى غيرى ؟

ـ ومن غيرها ؟

ـ لعلك أنت أيضا تفكرين فى تركى .

ـ انا لا اترك صاحبى حتى وان كنت أعرف انه يلعب بذيله .

ـ هل القطة عندك ؟

ـ أتريدننى ان أسلم لك عليها ؟

واطلقت ضحكة مجلجلة حتى لم يسمعا الطرقة الاولى على الباب .

وحين خفتت الضحكة سمعا الطرقة الثانية وانحبست انفاسهما ، وأرادت مفيدة أن تقوم عن السرير فأمسك بها حسين وابقاها حتى لا يخرج السرير حسا.وعاد

الطرق الى الباب صافيا واضحا وعاد الصمت الى الحجرة أشد صفاء ووضوحا وألح الطارق مرة ثالثة ولم يسمع جوابا · وان كانت الضحكة الاولى مازالت اصداؤها ترن فى أذنيه · حتى اذا يئس الحاج والى ، قال فى نفسه أترك له فرصة ان يكون منفردا ، ونزل السلم والضباب يغطى درجات السلم جميعا · ألهذا كان يربيه ؟!

ألهذا يقدم له المال والعون والابوة ؟ ان قطع عنه المال أضاع مستقبله وان قدمه ·· أيقدم له المال ليزنى ؟ ولكنه يذاكر انه يقدم له المال ليصبح صاحب شهادة لا ، لن يرده الزنى عن المذاكرة ·· أهذا هو الشيخ الذى سيصبح واعظا ويتزايد الضباب أمام عينيه ·

حين عاد الشيخ والى الى حسين اجتهد الا يبين انه فهم شيئا أو سمع ، وقبل حسين يده ومسح الدمعة المنحدرة وعاوده ذلك الشعور بالعجز والاحتقار لنفسه أمام الحاج والى · وقال الحاج :

ـ كيف حالك يا حسين ؟

ـ البركه فيك يا أبا الحاج ·· الحمد لله ·

ـ قال لى عبد الحميد افندى مسعود ناظر المدرسة الالزامية انك تنشر شعرا فى مجلة الورود ·

ـ نعم يا أبا الحاج ·

ـ أنا أحب الشعر وأحب الشعراء وأنا متأكد أن هذا لا يشغلك عن دروسك ·

ـ لا أبدا ·

ـ أنت فى ثانوية الازهر هذا العام أليس كذلك ؟ ·

ـ نعم يا أبا الحاج ·· انى امتحن الآن ·

ـ طبعا المذاكرة على قدم وساق ·

ـ طبعا يا ابا الحاج ·

ـ أتريد شيئا ؟

ـ البركة فيك ·

ـ أراك لاتسأل عن الحاجة ·· أنسيتها يا حسين ؟

ـ لاقدر الله يا أبا الحاج ·· كيف هى ؟

ـ تسلم عليك ·

ـ أبقاها الله ·· يا أبا الحاج أنا كنت سأسافر اليك

ـ كذا ·· انك منذ سنين لم تزر البلد ·

ـ لا والله كنت مسافرا اليك لاراك وأرى الحاحة ·

ـ ولماذا أيضا ؟

ـ أريد أن أكلمك فى موضوع ·

ـ خيرا ·

ـ اريد أن أدخل كلية دار العلوم ·

ونظر الحاج والى اليه مليا وصمت وخالجته فكرة ألحت عليه حتى قال :

ـ وتظل بالجبة والقفطان ؟

ـ والله أريد أن ··

ـ مفهوم ·· على كل حال يسرني أن تصبح معلما ·· ان هذا أقرب الى ما كنت اريده لك · فالواعظ في رأيي لايفيد قدر مايفيد المعلم · المستمع الى الواعظ يعلم أن وظيفته هي أن يقول هذا الكلام فالاستجابة له لاتكون عادة كامله · أما المعلم فانه مع تعليمه للمادة التي يقدمها يعلم الاخلاق بطريقة غير مباشرة والاخـــلاق هي كل شيء يا أستاذ حسين ·· أليس كذلك ؟ ·

واحس حسين النغمة التي غافلت الحاج وتسربت الى الحديث وقال :

ـ طبعـا ·

واحس صوته منحبسا فتنحنح وعاد يقول :

ـ طبعا ·

ـ بلدنا تحتاج الى الاخلاق أولا ثم الى العلم ·· بهما نستطيع ان نحرج العـدو ونكون وطنا عظيما · ولكن الاخلاق أولا يا استاذ حسين ·· الاخلاق أولا ·

ومسح حسين الدمعة المنحدرة وعاد يتنحنح وهو يقول طبعا ·· طبعا ·

ـ على بركة الله يابني ·· وهذا مبلغ يكفي لاحضار حلتين جـــديدتين مادمت تريد ذلك ·· هيه ·· اتركك أنا ·

ـ ولما العجلة يا أبا الحاج ؟

ـ اريد أن أزور محمد ·· انك لاتزور أخاك يا حسين ·

ـ أخاف أن أشغله ، فكلية الطب صعبة يا ابا الحاج ·

ـ زره يا حسين فلن يكون لك الا هو ولن يكون له الا أنت ·

ـ أنا آسف يا ابا الحاج ·

وخرج الحاج وودعه حسين الى باب الســلم ، وانتظر حتى غاب عن ناظريه ثم راح ينظر الى الجنيهات العشرة التي تركها له ثم طواها ووضعها في جيبه في عنـاية بالغة · وانحسر عنه شعور العجز والاحتقار لنفسه ·

يوم انتهى الامتحان اتفق حسين مع امين كامل الشاعر الذي ينشر معه في مجلة الورود أن يقيما حفلا خاصا لهما يدفعان تكاليفه مناصفة ، يشتريان فيه زجاجة من الكونياك ويدعوان فتاة يعرفها أمين لاتتقاضى الا قدرا ضئيلا من المال · وكان حسين في دخيلة نفسه يريد أن يحتفل أيضا بأول يوم يلبس فيه البدلة ولم يجد انسب من زجاجة كونياك وفتاة امين احتفالا بهذه المناسبة · وقبل ان يحل موعـــد الحفلة راح حسين يلبس بدلته الجديدة · في عناية بالغة فلبس القميص والبنطلون فلم يلق مشكلات تعترضه حتى اذا اراد ان يعقد رباط الرقبة اشكل عليه الامر وراح يربط ويفك · أو يربط فتنعقد عليه الامور حتى اذا يئس وضع الرباط على السرير وجلس ينتظر مفيدة لعلها ترى حلا لهذه المشكلة ولكن طال غيابها فأراد أن يقوم الى موعده دون رباط الرقبة ولكنه تذكر ماسيلاقيه من سخرية امين فجلس في موضـــعه وقد صمم ألا يذهب ان لم ينعقد رباط الرقبة · وفجأة دخلت اليه مفيدة فعاجلها قبل أن تفكر في موضوع آخر فراحت تربط له الرباط كما تفعل لابنها الصغير وأكمل هـو ملبسه وانفلت من الباب لم يشكرها الا بقبلة عاجلة ·

وحين بلغ شقة أمين وجده جالســا في بهو منزله وحيدا وأمامه الزجاجة لم تفتح وسأله :

ـ واين الشغل ؟
ـ فى الداخل ٠
ولم يتمهل بل اندفع الى الحجرة الوحيدة فى الشقة وكان الوقت فى الغروب والشبابيك مقفله ولكنه راى كتلة ادميه جالسة على الاريكة فارتمى بجانبها ومد فمه يقبل فاستقبله شعر خشن كثيف وطالعه صوت رجل ٠
ـ من انت ؟
ولم ينزعج حسين وانما مسح دمعته وقد ادرك ان الفتاة مع آخر دعاه امين فقال دون ان يفكر :
ـ أنا حسين شحاته ومن أنت ؟
وقال الشاب على الناحية الاخرى من الفتاة :
ـ اهلا ، انا محمود ادهم ٠
فقال حسين وهو يحتضن مكانا خاليا من جسم الفتاة :
ـ أهلا فرصة سعيدة ٠٠ ومن سنين وأنا اريد التعرف بك ٠
ـ ها نحن تعارفنا ٠
وحين خرج الثلاثة من الحجرة وجد حسين ان الحفل لم يكن مقصور على اربعتهم فقد جاء اغلب كتاب المجلة واعلن امين ان الحفل مقام لمناسبة ازاحة الجبة عن جثة حسين شحاته ٠ وكان الشعراء منهم قد أعدوا قصائد بهذه المناسبة ٠ وارتجل حسين قصيدة يفخم فيها من شأن نفسه ويهون من اقدار الناس جميعا الا هو ،وجرت الكاس والضحكات ٠

ـ ٢٤ ـ

لم يعد زين العابدين بك يستطيع ان يسهر كثيرا فكان كلما جاء الى القاهرة مدعيا زيارة ابنته المقيمة عند جدها يذهب الى صديقته الجديدة نعمات هشيكه بعد الظهيرة فيجلس اليها فى بيتها ثم يصحبها بعد ذلك فى عربة حنطور تجوب بهما الجزيرة حتى اذا اقترب المساء سارت بهما العربة الى الكباريه فيتركها هناك وينصرف هو الى بيته أو مقهاه ٠
لم تكن نعمات هشيكه جميلة ، لا ولا كانت فتاة فى مقبل العمر انما هى بقية من ماض تخلف فى الكباريه متروكة لمثل زين العابدين ليقنع بها نفسه انه مازال الفتى الذى كانه منذ نيف وعشرين عاما ٠ وهكذا كانت نعمات قانعة بنصيبها من زين العابدين ، وقد كانت امرأة طيبة تحسن الحديث وتستطيع ان تعيد الى زين العابدين ماضيه صورا من الحديث بعد ان عجز ان يستحضره فتوة وشبابا ٠ فهى تذكره بغزواته مع الغراقيه وسنيه شخلع وانيسه ولعه وغيرهن ٠ وتقص ـ ومن القصص ما هو خيال ـ كيف كن يتشاجرن لتحظين بصحبته ويقول زين العابدين فى نفسه لعل هذا كان حقا ويحاول أن يقنع نفسه أن لعلها لاتكذب فاذا عجزت نفسه ان تقتنع راح يلتذ هذا الكذب ٠ ويحاول ان يقربه من الصدق فيهمس الى نفسه ليس من الضرورى أن يكون كذبا لانه الم يقع ، فانه كان خليقا أن يحصل على أية حال ٠
ومن ادرانى فنعمات ادرى بدخائلهن وما كان يدور بينهن من حروب وقتال ٠
ولم تكن نعمات تريد من هذا الحديث الا ادخال السرور الى نفسه فهى تعلم انه

يهدى اليها اقصى ماتستطيع نروته ان تحتمل وانه يقدم لها كل ما يطيق ان يقدم . وما كانت تريد ان تشق عليه في شيء حتى لاينقطع ما بينهما ، فقد كانت على تمه ان صلتها بزين العابدين هي حاتمه المطاف في حياتها الطويله العريضه في دنيا الكباريه كانت تدرى انها تنهى حياتها العمليه بزين العابدين فهى متشبثه به تشبثها باحياة فهى منذ نيف واربعين عاما لاتعرف لنفسها حياة الا الكباريه والصديق .

وقد اصبحت في الـــكباريه مشرفة ادارية فهى لاتحس انهـــا انثى الا مع زين العابدين ، واحساسها انها انثى هو كل شيء بالنسبة اليهـا .. كل شيء فهى تكاد تثق ان حياتها تنتهى بانتهاء الصلة بينها وبين زين العابدين .

اما زين العابدين فقد كان يدرى انه لايملك ان يتعرف بخير من نعمات هشيكه فاما شبابه فقد ولى وهو يدرى ، واما ماله فهو لايكفى الا مايســتر امره وما دام قد اصبح بلا شباب ولامال فليس في العالم خير من نعمات ترد اليه الشباب في قصصها وفيما تمثله من ماضيه وماضيها ويبقى عليه المال بعدم مبالغتها فيما تطلب وعـــدم صيفها بما يعطى .

كان زين العابدين يصبغ شعره وكان يحس انه بصبغته هذه يضـــيع عجزه وهذا التيبس الذى الم باطرافه وهذه الغضون التى تكاثرت حول عينيه وفى وجهـه بل وفى جسمه كله . بل انه كان يحس انه يصبغ الايام الشاحبه من الشيخوخه . ايام في بياض الثلج وجموده ، كان يجرى عليها الصبغه وينظر الى المراة ويبتسم ، وحسبه عند نظره الى المراة ابتسامة ، لا ، لم يعد يطمع في هذا الفرح العربيد الذى كان يتواثب في نفسه كلما نظر الى المرآة ، لا ولم يعد يريد هذا الاطمئنان غير المبالى الذى كان يشيع في نفسه عندما ينظر الى المرآة ، وهو بطبيعة الحال لم يعد يفـــكر أن يشعر بهذا الزهو الذى كان يثب الى قلبه من المرآة .. بحسبه من المرآة ابتسامته وأحيانا كانت الصبغة ينصل لونها فكان زين العابدين يرى الشعرات البيض المتفلته من الصبغة تلتقى بالشعرات السود فكان يفرح من هذا اللقاء . فحبيب الى نفســه ان يلتقى الشباب بالشيخوخة ولو كان هذا اللقاء في الوان وان كان هـــذا اللقاء مصطبغا تكلف فيه هو الشباب بفرشاة وصبغة وفرضت فيه الشيخوخة نفســـها كسنة من سنن الطبيعة وفترة من فتراتها . ولكنه كان يفرح على اية حال ويداعبه امل ، مجرد امل ان تهب اليه من شبابه نسمات ، أو نسمة من حين الى حين مهمـــا يتباعد مابين هذا الحين وذلك الحين .

كانت القاهرة تودع الشتاء وكانت النسمات تهب بعيد الظهيرة حانية هينـة المسرى كانها تصل بين شتاء بارد تودعه القاهرة وصيف قائظ تستعد لاســتقباله او كانها بشائر من الربيع ارسلها كما يسبق الحراس المواكب،واستقل زين العابدين عربة ذات حصانين يبدو بوضوح ان احدهما ذكر والاخرى انثى ، كما يبدو بوضوح انهما تزاملا في هذه المهنة فترة طويلة من الزمان فبينهما هذه الالفة المفروضـــة بين زميلين قديمين فلو اطاق كلاهما لعانق كل منهما ذراع الآخر في حنان الآدميين الذين تقدمت بهم السن ولم يعودوا ينتظرون من المستقبل الا أن يستعيدوا معا ذكريات من الماضى الطويل . وكان سائق العربة رجلا في فتوة الشباب عريضا ضخما لايعبـــأ كثيرا بما بين الحصـانين من الفة وتواد بل انه حتى لايرعى حرمة الذكر أمام انثـاه

ولا رقة القلب فى معاملة الانثى فهو بسوط كليهما فى حركة يأتيها عفوا كانها جزء من واجبه ، وبشكل يقطع انه لايدن لثير رحمه لزميليه فى العمل لولاهما ما كان له عمل • انك تستطيع ان تدرك بسهولة انه اشتراهما منـــذ قريب وانه قد دفع مقابلهما ثمنا لايستحقانه وهما على ماهما عليه من تقدم فى السن • لم يكن صاحب العربة رحيما على الحيوان الابكم فيهما كما لم يكن رحيما على كبر السن الذى يمثلانه وانما كان يثار للعرق الكثير الذى بذله فى سبيلهما •

وكانما كان الحصانان يرجوان ان يجدا فى شيخوختيهما شـيئا من الراحة أو شيئا من التوقير على الاقل فحين لم يجداه من صاحبهما الجديد راحا يفرضانه فرضا بمشية وانية غير عاجلة ولا مباليه بهذه السياط التى تنهمر عليهما وكانما يريدان ان يقولا لكم عرفنا امثال هذه السياط ولكنك فى آخر المطاف مضطر أن تقدم الينا أوفر الطعام واحسن العناية والا حرمناك رزقك جميعا فللشيخوخة تجربتها وفائدتهـا فى كثير من الاحايين •

وهكذا سارت العربة فى هدوء على الرغم من صخب السائق • وزين العابدين يحاول ما وسعه الجهد ان يملأ فراغ المقعد فى العربة بجسمه ولكن هيهـات له ان يستطيع فقد ضمر جسمه مع الأيام ، ألم تضمر أيامه أيضا ولكنه لايريد أن يصدق الضمور فى جسمه أو فى أيامه فهو يتوسط المقعد ويضـــع يدا على يمين ويدا على يسار ويفرج ما بين رجليه قدر ما يستطيع واضعا عصاه على الكرسى الصغير المقابل له ، ينظر الى الذين يمر بهم يكاد يسالهم ماذا ترون ؟ •• ألا ترون شبابا ، وهذه الوردة الحمراء الا تصنع لى شبابا ، وهذا الشعر الفاحم ، فما الشـــباب ان لم يكن كذلك ، وتمر به الاعين فتبتسم حينا أو تعبره كظاهرة تعـودت أن تراها فما تحس فيها جديدا •

ووقفت العربة عند بيت متهرىء القسمات حاول ان ينتحر فعاجله صـاحبه بالاسعاف ونصب له مساند من الخشب تأخذ الطريق على من يريد السير على الطوار حتى ليخيل لرائيه انه عجوز مال على ذراعه فنام واستقر به الحال فى نومته ، او لعله يذكر آخرين بواحد من اهل الكهف اصابته نوبة الاغفاء وهو مستند على ذراع له ، ولكنه كان عند زين العابدين بيت نعمات وكان عند نعمات المأوى الذى تلجأ اليه من زمان يولى وشيخوخة تسارع اليها الخطو •

طلب زين العابدين من السائق ان ينتظر فامر السائق الخيل بدوره الا تتحرك وألحق امره بسباب كثير والتفت اليه الحصان الذكر والقمامة على عينيه ثم التفت الى زميلته ومسح شفتيه بلسانه ثم استكان • ونزل زين العابدين من العربة ونفض الشارع بعينيه كأنه مقدم على مغامرة حتى اذا اطمئن الى خلو الطريق دلف الى الباب المختفى بين الاعمدة التى تسند البيت •

ولم يطل غياب زين العابدين وعادت معه نعمات وقد ارتدت فوق ملابسـها معطفا جديدا اشتراه لها زين العابدين منذ قريب •

كان وجه نعمات مختفيا وراء كثير ولكن لم يكن الحجاب من الاشياء التى كان يحتجب وراءها الوجه •

وسارت العربة وقبل ان ينطق زين العابدين التفت اليه السـائق نصـف التفاتة وقال •

- الجزيرة ؟

وقال زين العابدين فى مرح

- تعجبنى

واتجهت العربة الى الجزيرة وقال زين العابدين

- انت اليوم قمر

وقالت نعمات وقد ابتسمت عن اربعة اسنان ذهبية وعن تجاعيد كثيرة حول فمها

- اليوم فقط ياعمر
- وكل يوم وشرفك
- اين كان هذا ؟ ٠٠ كنت لاتسأل عنا ايام سنيه شخلع الله يرحم ايامها ٠
- انت التى كنت منصرفة عنا
- وهل كنا نتوصل
- أيام
- الا تعجبك ايامنا هذه
- حلوه والنبى حلوه يانعنع
- اراك تتحسر على سنيه
- انت انستينى الكل
- ياترى صحيح
- والنبى صحيح ٠٠٠ صحيح والنبى
- كنت ايام سنيه ٠٠٠٠

وراحت تعيد على مسامعه ايام مجده وهو يزداد انتفاخا بجانبها وينظر الى المارة يكاد يستوقفهم ليسمعوا مايسمع وقد تسرى فى داخله فى لحظة عابرة همسة تقول كذب ماتسمع ولكن سرعان مايكتم هذه الهمسة فان الحقيقة كئيبة عند ما يحلو الخيال ، وعلى كل حال ما اقرب الواقع من الخيال ، وعلى كل حال هو مبتهج يكاد يطير من البهجة نسى الشيخوخة والصبغة ونسى الحقيقة لم يعد يذكرها ، لم تعد الحقيقة عنده الا هذا الذى ترويه نعمات ، وقائع تشركه هى فيها فى جرأة ودراية ومران ، وهو لم يفعلهـــا ٠٠٠ اولا يذكر انه فعلهـا ٠٠٠ بل انه يكاد يذكر انه فعلها ٠٠٠ بل انه واثق انه فعلها وانها الحقيقة فى الحقيقة ٠٠٠ وتسير العربة ٠

ويصل موكب الذكريات والاساطير الى الجزيرة وتمر العربة بعربات أخرى ، وتمر بسيارات ، والذكريات تنهمر وزين العابدين فى نشوة هيهات أن تبلغها نشوة الخمر مهما تتزايد ، وينظر زين العابدين الى العربات والسيارات ، لو استطاع لصرخ فيمن بها اتعرفون انتم الحب والشباب تعالوا فانظروا كيف كنت ، بل فانظروا كيف انا الى الآن ويزاد انعاما فى العربات والسيارات الواقفة يرميها بنظرات محايدة ليس فيها معنى ، وتسير العربة ٠

ولكن العربة تبلغ سيارة مكشوفة ، ويقول زين العـــابدين فى نفســـه ، مكشوفة ٠٠٠ اليس لها غطاء ، وينعم النظر ثم ينتفض انتفاضة مجنونة ، ويعـــود ينظر ... انها هى ويقول :

- بنتى : ؟

ويخيل اليه انه قالها فى نفسه لم تنطق بها شفتاه وما درى انه صرخ ، وراح السائق يحث الخيل على العدو وهى تأبى الا أن يسير ، وامسكت نعمات بملابسه ذاهلة لاتدرى ماذا تفعل او تقول

ويقول زين العابدين ذاهلا :

ـ قف ... قف ياأوسطى .

وتقول نعمات :

ماذا تريد ان تفعل ؟

ويرد السؤال الرجل الى بعض العقل وان كان جسمه قد اصبح مرجلا يغلى ويلتفت الى نعمات فتطالعها منه نظرة ذاهلة حائرة كسيرة مخذولة وتعيد سؤالها :

ـ ماذا تريد ان تفعل ؟

ويقول فى حيرته الذاهلة .

ـ خذى .

ويخرج من جيبه جنيها .

ـ خذى هذا وامشى انت ... نعم اتركى العربة .

وتنزل نعمات الى الطريق تبحث عن عربة وينظر زين العابدين الى السائق يقول له فى استجداء آمر .

ـ انتظر انت .

ويقصد الى آمال جالسة مع شاب فى المقعد الخلفى من سيارة مكشوفة غير عابىء بناهد فى السيارة نفسها وفى ثورة مكبوتة يضع يده على ذراع بنته التى كانت مسترخية على جانب السيارة وكأنما وجدت ثورته انفجارتها فى تشبثها بذراع ابنته ولم شيئا الا .

ـ قومى .

وانتفضت آمال .

ـ بابا !!

وقال مرة أخرى فى نفس الثورة .

ـ قومى .

وفى لحظة كان ركاب السيارة منتشرين حولها وكانت آمال مجرجره الى العربة المنتظرة وسارت العربة .

وقال زين العابدين للسائق :

ـ الى محطة مصر .

وانتظر القطار ساعة ونصف ساعة لم يقل كلمة واحدة بل حتى لم يعد يفكر انما كل ما سيطر على ذهنه انه يريد ان يذهب الى بيته فى قرية الحميديه ولا شىء آخر .

وحين حل الموعد انتزع ابنته الصامتة بدموعها التى تنثال على وجنتيها وركبا، وسار القطار .

ـ ٢٥ ـ

لم تكن عزيزة جميلة وانما هى شفتان غليظتان وشعر أرغم على الاستواء

ارغاما فهو مفعول فى نهايته باسطوانه تبقى عليه استواءه وهى ذات عينين ضيقتين وامال اشد ضيقا من عينها ، لها قصة تكررت حتى لتكاد تصبح من كثرة تكرارها كاعمال الحياة اليومية التى لاتستحق الرواية ، كانت خادمة وكان فى البيت مراهق. وحين اضطرتها الحقيقة المتخفية فى أحشائها ان تعلنها ذهبت الى المستشفى ودفع ابو المراهق النفقات فى كرم ، ثم اعطاها أيضا عشرين جنيها ثمن سكوتها وشرفها فى بيعة واحدة ، وكان لابد لها ان تقبل فان البضاعة التى باعتها لايقبل شراءها الا هذا الذى اشتراها فهو محتكر للصنف · وكانت لن تجد هذه الجنيهات العشرين على أية حال فقبلت ماعرض عليها · وقبل ان تخرج من المستشفى كانت احدى الممرضات قد عرفتها بسيدة أخرى تتاجر وبضاعتها اللواتى بعن شرفهن كعزيزة وانضمت عزيزة الى المعروضات فى بيت الحاجة نبوية · وكانت الحاجة نبوية قاسية فى معاملتها لبضائعها ولكنها ـ والحق يقال ـ كانت تسافر فى كل عام الى الحجاز تلقى باحمالها من ذنوب التجارة والقسوة جميعا ثم تعود الى القاهرة بقلب متهيىء لكل ماتعودت أن تمارسه من اعمال ·

وهكذا لم تصبر عزيزة طويلا على الحاجة فسرعان ما اقامت تجارة حرة وحدها وبعد أن همست الى زبائنها بمكانها الجديد جمعت ملابسها ، الى هذا البيت الذى تستقبل فيه زبائنها القدامى ومن استجد منهم بعد ذلك غير مغالية فى الثمن فقد كانت تدرى انها ليست جميلة ·

ولم تكن تجارتها رائجة فقليل من كان يعرفها وقليل هذا الذى يدفعه من يعرفونها فهم فى أغلب الاحيان طلبة فى الجامعة ممن لايحبون ان يلتقوا بتلاميذ الثانوى فى الاماكن العامة ·

وكان محمد فى يومه هذا ضيقا اشد الضيق بحياته جميعا · فهو متزوج وغير متزوج فى وقت واحد · وهو على كرهه لزوجته يحس انه بحاجة الى انسان · لا لم تكن الوحدة ، انما هو يحس انه ضائع غير وحيد ، نعم انه ضائع هذا هو التعبير الذى أحس بصدقه حين نبت كالهمس فى نفسه · ضائع لا يدرى لماذا · لم يكن وهو بجانب أبيه يحس بالضياع ولم يكن وهو بجانب زوجته يحس الضياع وان أحس الضيق لها والكره ولكنه لم يكن يحس الضياع · اما الآن فاصدقاؤه كثيرون ولكن ليس بينهم من يستطيع أن يجد فيه اباه أو هنيه ·

هل أريد أبى حقا · ألم أكن أضيق بتسلطه وفرضه رغباته دون أن تكون لى فرصة أن أقول ما أريد فاذا انا آخر الأمر لا أرى الا ما يرى بل ولا مستقبل الا ما يرسم · فها انذا وحدى ، اخط مصير نفسى بيدى ، أى مصير ، لماذا لا أموت ماذا تخسر الدنيا اذا مت انا ، انا فى كلية الطب ولن يستطيع طالب فى كلية الطب أن يصبح مهندسا أو محاميا · أى مصير أخطر · زوجنى ممن أراد هو ، وجاء ابنى يؤكد هذا الزواج يثبته ان كان فيه مجال لشك ، فماذا بقى لى من مصيرى لأخطه ·

وقادته قدماه الى عزيزه واستقبلته استقبال زبون قديم وقال لها بعد حين ·

ـ أريد ان اعرض عليك موضوعا ·

ـ تفضل ·

ـ هل انت مشغولة كل ايام الاسبوع ·

ـ على حسب ٠

ـ طيب هل انت مشغولة طول اليوم ٠

ـ على حسب ايضا ٠

ـ اسمعى ٠

ـ عه ٠

ـ أريد ٠٠٠

ـ قل ماذا تريد ٠٠

ـ لا ٠٠ لا شيء ٠

ـ اسمع يا سى محمد ٠٠ نحن نسمع الكثير ٠٠ الزبائن لا تجد مكانا احسن من عندنا لافراغ كل ما عندهم ٠٠٠ قل ٠٠٠ انت مثل اخى ٠٠ ان لم أستطع أن اريحك فأنا لا أستحق أن تعرفنى ٠

ـ لا ، لاشيء والله الا اننى لاادرى لماذا احب أن اجلس اليك ٠

ـ صحيح ؟!

ـ أحب أن أجلس اليك ٠

ـ اهلا وسهلا ٠

ـ انت الوحيدة التى استريح معهـــا ٠٠ انا اخترتك أنت من بين كل اللواتى عرفتهن ٠٠ انا الذى اخترتك بمزاجى انا ٠٠ بكيفى ٠٠ فأنا أريد ٠

ـ قل ياسى محمد قل ولا تخجل ٠

ـ احب ان اجيء اليـــك كلما امـــكننى ذلك واجلس معك مجردجلوس ولن اعطلك ٠

ـ يا اخى تفضل اهلا وسهلا ٠

ـ مسالة الفلوس ٠

ـ لا ٠٠ لاتتكلم فيها ياسى محمد ٠٠ لاتتكلم فيها ٠٠ ياسلام ٠

ونظرت اليه نظرة طويلة ٠٠ فتى فى ريق الشـباب طويل القامة اسمر الوجه ذو عينين كالمرآة يعكسان مايسقط عليهما من نور ولكنهما لايشعان من داخلهمـــا نورا ، يبدو عليه انه كجهاز للاستقبال اللاسلكى ولكنه لا يصلح للارسال ، يضحك ان سمع مايضحك ويحزن ان سمع مايحزن ولكنه لايثير الضحك أو الحزن فى أحد ٠ ولهذا كان اصحابه يحبونه ٠

وقالت عزيزه :

ـ وانا ايضا يا سى محمد لا اجد راحة عند احد كما اجدها عندك ... احس وانت تسمعنى انك فعلا مهتم بما اقول ، الآخرون لا يسمعون ما اقول

ـ لماذا لم تطلبى منى أن أجىء للجلوس اليك ؟

ـ خشـيت ان تظننى اريدك ان تاتى لمجرد دفع الفلوس ... انت متـزوج يا سى محمد

وقص عليها محمد كل ما كان يكتمه عن الاصدقاء الاقربين .

ـ ٢٦ ـ

كان زين العابدين يجلس فى غرفة الاستقبال بمنزله وحوله رهط من اعيـان القرية بينهم الحاج والى وكان القلق يسيطر عليهم جميعا فقـد كان الراديو يذيع انباء الحرب فى ثورة محمومة امتدت من أوربا فشـملت العالم أجمـع حتى بلغت قرية الحميدية وزين العابدين والحاج والى وهذا الرهط الطيب الذى لا يتصل له سبب بالحرب الا أن ينزعج ويسيطر عليه هذا القلق الآخـذ الوبيل ... النفوس منهم هالعـــة لا تدرى ما المصير فى الغد ، والايام المقبلة كلها مغلفة بدخان قاتم من نيران الحرب ، كل فرد منهم ينظر الى غده فى ذعر تختلف بينهم أسباب الذعر ولكنهم جميعا متفقون على الذعر والقلق والترقب للغد الكالح المغبر المستخفى فى أطواء الدخان واصوات الطلقات وآهات الصرعى وضجيج الجنون وصراخ المطامع تغشيها الدعاية وتهتك عنها الدمار أستار الخداع .

الراديو يكاد ينفجر من هول ما يذيع وزين العابـدين والحاج والى والرهط الآخرون صامتون لا يتحرك لسـانهم بكلمة وان ثارت فى نفوسـهم عواصـف من الاحاديث . ولكنهم فى لحظتهم تلك كانوا يريدون ان يسكتوا لا ليستمعوا فحسب وانما لانهم وجدوا من الصمت ستارا يخفون وراءه القلق الراعد بين جنوبهم وانتهى المذيع من اخباره وشمل الصمت الكون أجمعه حولهم لحظات وظلوا هم فى دوامة من صمتهم ، وما لبث الراديو ان عاد الى الحديث مرة أخرى « تسمعون الآن اغنية الأمر الضـائع شـعر حسين شـحاته غناء نجوى مصطفى » ولم يكن الحاج والى يتوقع ان يسمع اسم ربيبـه مذاعا وشـعره غناء فأحس كأن الدنيا حولـه تهتز وسرعان ما تصاعد الضباب أمام عينيه ثم راح ينجاب طبقة بعـد طبقة حتى لم يبق الا غلالة رقيقة من الضباب وجاءت الانغام وواكبت الابيات اللحن ونظر الحاج والى الى زين العابدين والآخرين فوجدهم ناظرين اليه وعلى فم كل منهم ابتسـامة كأنه يهنئه بها ، وانعم النظر الى الوجوه وقد راحت موجة الذعـر تنحسر عنها شـيئا فشيئا فهم ينعمون بما يسمعون بل ان بعضهم يمصمص شفتيه وآخر منهم يقول « الله ، الله » وزين العابدين يهز راسه واصبحت الغرفة الحانا وانحسر عن هـذه الحجرة من العالم قلق الحرب المروع فالنفوس ترف مع النغم والقلوب تتفتح لآمال،

وتسترجع الذكريات ، والدنيا هنا فى هذه الحجرة ـ دنيا ودور فيها حب وفيها متعة وفيها سرور وعلى الارض ... هذه الارض من هذه الحجرة السلام.

وانتهت الاغنية ، وراح الحاج والى ينظر الى زين العابدين ينتظر منه ان يقول كلمة . وقالها زين العابدين آخر الامر .

ـ الشعر هائل يا حاج والى

وتصاعدت بعد هذه الجملة أحاديث الاعجاب من الجالسين . واحس الحاج والى نفسه الصدئة تنقع فى السعادة ودار الحديث بعد ذلك عن الاغنية والشعر وفكر الحاج والى وهو فى دوامة الفرح كيف أصبح الحديث مشرقا وبهيجا بعد أن كانت ريح الحرب القاتلة هى التى تسيطر عليهم . واحس الحاج والى انه يريد أن يصبح وحيدا فهو يستاذن ويقوم الى الطريق المنفرد من القرية ... الى الليل ... ليل القرية الذى يشيع الوحدة فى النفس بصورة يعجز عنها فى اى مكان آخر ... ومشى الحاج والى لا يسمع الا أنفاس الليل حتى لقد نفت مسامعه عنه صرير الصراصير ، ونقيق الضفادع ونباح الكلاب فليس ثمة من حوله الا انفاس الليل فى القرية وتلك الرائحة التى تنتشر فى أمسيات الريف رائحة الاعشاب الخضراء وهى تحترق اختلطت برائحة الندى وقد استقر على أوراق الشجر . وكان الحاج والى وهو سائر يشق سحابات من الضباب لا يدرى اهى التى تعود أن تتراكم أمام عينيه أم انها سحابات آتية من العشب الاخضر المحترق .

نعم ان حسين لم يعد يسال عنه ، وهو منذ حصل على مرتب من وظيفته قطع ما بينهما قطيعة توشك أن تكون كاملة ، ونعم أن حسين عرف مرات كثيرة بمرض الحاجة بمبه وبمرض الحاج والى فلم يكلف نفسه عناء خطاب يرساله ، ونعم .. انه لا يزور حتى أخاه فى القاهرة.ولكن مهما يقطع حسين ما بينه وبين الحاج بل ما بينه وبين اخيه ، الا انه لا يستطيع ان ينكر ان الحاج والى هو الذى جعل منه هذا الانسان الذى يذيع الراديو اسمه وتغنى له المطربات ، لا مهرب له من هذا وان جهد هو أن يهرب من ماضيه ...

وماذا كنت أريد منه ... فليأخذ طريقه فى الحياة موفق الخطوات فلا والله ما تمنيت عنده شيئا ... ولا السؤال ... لا ولا السؤال يكفينى منه ان يسعد الناس مثلما أسعد اليوم زين العابدين بك ومن كان معه ، ومثلما أسعدنى ... نعم لقد أسعدنى .

ومضى الحاج والى يشق الضباب ورائحة العشب الاخضر المحترق المختلطة برائحة الندى تلاحقه غير ملتفت ولا عابىء بصرير الصراصير ولا بنقيق الضفادع او نباح الكلاب .

(البقية فى العدد القادم)